أثر قرينة النسبة في توجيه المعنى في تفسير الرازي (ت٦٠٦هـ)

م . م. لؤي واهم شهيد

أ . د. حسين عودة هاشم

جامعة البصرة /كلية التربية للعلوم الإنسانية/ قسم اللغة العربية

المستخلص:

حظيت قرينة النسبة بعناية أصحاب النحو والتفسير القدماء منهم والمحدثين على السواء؛ لأنَّها تتعلق بدراسة الترابط الحاصل بين مفردات التركيب فيما بينها من جهة، وبين التراكيب التي تكوِّن النص من جهة أخرى، ويعد هذا البحث محاولة لبيان أثر هذه القرينة ودورها في توجيه المعنى في تفسير الفخر الرازي، فتوصل البحث إلى أنَّ هذه القرينة واحدة من القرائن المعنوية التي سجلت حضوراً واسعاً في تفسير الفخر الرازي، وهذا الأمر يعطي انطباعاً عن فهم الفخر الرازي لهذه القرينة، ومدى استفادته منها في توجيه المعنى وتفسيره، وعلى الرغم من هذه الأهمية إلَّا أنَّها لا يمكن لها أنْ تقوم بهذا الدور في فهم علاقة النسبة الحاصلة بين المتضايفين أو بين المجرور ومتعلقه إلَّا بتضافر مجموعة من القرائن الأخرى.

الكلمات المفتاحية: أثر، قرينة، النسبة، المعنى، الرازي.

The Impact of the Relative Clue on Meaning in Al-Razi's Interpretation (d. 606 AH)

Asst. Lect. Louay Wahim Shahid

Prof. Dr. Hussein Oda Hashim

University of Basrah, College of Education for Human Sciences, Dept. of Arabic

Abstract

The relative clue has attracted the attention of both ancient and modern grammarians and interpreters, as it relates to the analysis of the interconnections among individual components of a structure and the linkages between the structures that form the text. This study aims to demonstrate the impact of this clue and its role in constructing meaning inside Al-Fakhr Al-Razi's interpretation. The study indicates that this information is one of the most important semantic markers in Al-Fakhr Al-Razi's interpretation. This demonstrates Al-Fakhr Al-Razi's understanding of this clue and the extent to which he employed it in directing and interpreting meaning. Despite its importance, it cannot perform this function in understanding the relative relationship between two connected terms or between the genitive and its dependent, unless with the integration of numerous supplementary indications.

Keywords: impact, clue, relative, meaning. Al-Razi.

العدد 3 – المجلد 50 – أيلول لسنة 2025 مجلة أبحاث البصرة للعلوم الإنسانية

أثر قرينة النسبة في توجيه المعنى في تفسير الرازي (ت٦٠٦هـ)

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق محمد وعلى آله وأصحابه ومن والاهم بإحسان أمَّا بعد:

حظيت اللغة العربية باهتمام العلماء اهتماماً واضحاً في جميع فروعها من نحو وصرف وصوت وبلاغة وغيرها من الفروع، فجاء ذلك تجسيداً لرغبتهم في الحفاظ على لغة القرآن الكريم وسلامته، ومن بين هذه الدراسات التي حظيت باهتمام الدارسين في مجال اللغة والتفسير هي دراسة القرائن وأثرها في توجيه المعنى، ومن بين هذه القرائن قرينة النسبة، التي أخذت جانباً وافراً من هذا الاهتمام لدى أصحاب النحو والتفسير، بعدِّها وسيلة من وسائل الترابط بين مفردات وجمل اللغة العربية.

فموضوع البحث يحاولُ الكشفَ عن مدى إدراك الفخر الرازي لقرينة النسبة وأنواعها وأثرها في توجيه المعنى عنده، فتفرعت عنها قرينتان فرعيتان هما: قرينة الإضافة، وقرينة معاني حروف الجر، فتقتصر كل واحدة منهما في الكشف عن مدى الترابط الحاصل بين الوحدات التركيبية التي تتحكم فيها قواعد النحو وأثر ذلك في توجيه الدلالة القرآنية في تفسيره.

أمَّا الهدف من البحث فهو يدرسُ قرينةَ النسبة بعدِّها قرينة من القرائن المعنوية التي تساهم في الترابط بين مكونات النص، وتساعد في توجيه المعنى في تفسير الرازي (مفاتيح الغيب)، ومدى توظيفه لعناصر هذه القرينة في ذلك، بما تحتاج إليه كلُّ لفظةٍ من هذه العناصر من تلازم بين مكونات التركيب، أو اختصاص، ليتحقق الترابط بين أجزاء النص وأثره على الدلالة.

اقتضت طبيعة البحث أنْ ينتظم على محورين رئيسين مسبوقة بمقدمة وتمهيد، ومقفاة بخاتمة بأهم النتائج، فقائمة المصادر. بحثت في المحور الأول مفهوم قرينة الإضافة وأثرها في توجيه المعنى، وأمَّا المحور الثاني فاشتمل على بعض التجليات لقرينة معاني حروف الجر وأهم أنواعها في تفسير الرازي، ومدى استفادته منها في توجيه الدلالة القرآنية، مع تطبيقات لكل نوع منهما.

أمَّا المنهج المتبع في هذا البحث فطبيعة البحث فرضت على الباحث أنْ يتبع المنهج الوصفي التحليلي؛ لأنَّ الوصفَ والتحليلَ من مناهجِ علماءِ العربيةِ الذي غالباً ما يتناسب مع مسائلِ اللغةِ والنحو.

وقد عمدَ الباحثُ إلى اختيار هذا الموضوع (أثر قرينة النسبة في توجيه المعنى في تفسير الرازي)؛ لأنَّ تفسيره يمثلُ أنموذجاً لتنوع القرائن اللفظية والمعنوية التي تعمل على إنتاج النص، والتفاعل بين أجزائه، وثقافة الرازي الواسعة التي تجلت في تفسيره أصبحت رافداً لكثير من العلوم، والعربية واحد منها، إضافة إلى ذلك أنَّ الموضوع لم يسبق أنْ تناوله أحدٌ من الباحثين بالدراسة في هذا المجال على حسب علم الباحث، فهو رائدٌ في بابه، كل ذلك يعطي للموضوع أهميةً ويعلو من شأنه.

ختاماً أسأل الله تعالى التوفيق والسداد في القول والعمل، وأن ينتفعَ طلابُ العلمِ من عملي هذا، إنَّه ولي توفيقي وسداد أمري.

التمهيد

النسبة قرينة معنوية كبرى تضم المجرورات التي بدورها تتفرع إلى الإضافة وحروف الجر، وهي قيد عام على علاقة الإسناد أو ما يقع في حيزها، وتختلف عن قرينة التخصيص، فالتخصيص تضييق وتقييد لتلك العلاقة، وأمَّا النسبة فهي إلحاق لها، فتتمثل في الإضافة وحروف الجر، وبذلك تكون قرينة النسبة قرينة كبرى تتفرع عنها قرينتان: الإضافة التي تكون بين المضاف والمضاف إليه، وحروف الجر التي تنشأ عنها علاقة النسبة بين معنى الحدث والاسم المجرور(١).

فالنسبة في النظم تعني انتساب شيء إلى شيء بمعنى تأليف كلمة مع كلمة يربط بينهما رابط ذهني وثيق يسمى بالنسبة، وتنقسم على نوعين: نوع يربط بين كلمتين فيتم بهما التعبير عن فكرة تامة يصح السكوت عليها، كالنسبة بين المسند والمسند إليه، وبينا ذلك في المبحث الأوَّل من هذا الفصل، ونوع يربط بين شيئين يُعبَرُ عنهما بكلمتين لا تعبران عن فكرة تامة، بل تعبران عن ترابط وثيق فتنزل الكلمة الثانية من الأولى منزلة التنوين، وتكون الكلمتان بمنزلة الكلمة الواحدة، لا يجوز فصلهما ولا تقديم أحدهما على الأخرى؛ لأنَّ هذا النوعَ من الترابط يجعلُ الكلمتين تعبران عن شيء واحدٍ، كما في قولنا: (والد زيد)، فكلمة (والد) ترتبط بـ(زيد) عن طريق الإضافة وتعبر كل منهما عن شيء واحد، بدليل أنَّ (والد زيد) شخص واحد بالإمكان أنْ يقومَ اسمه مقامَ هذا التأليف، فتقول: (محمد) إنْ كان اسمه محمداً، فأنزلت الكلمتين بمنزلة الكلمة الواحدة[٢].

وقد تعرض النحاة إلى علاقة الارتباط بين المتضايفين ومدى التعالق بينهما، حيث يكمل الثاني منهما معنى الأوَّل فيقبح الفصل بينهما، وجعلهما بمنزلة كلمة واحدة، وهذا ما صرَّح به بعض النحويين، من ذلك ما ذكره سيبويه بأنَّ المضاف والمضاف إليه بمنزلة اسم واحد منفردٍ، والمضاف إليه هو من تمام الاسم ومقتضاه[٣]، وتابعه في ذلك المبرد بقوله: "فإذا أضفت اسماً مفرداً إلى اسم مثله مفرد أو مضاف صار الثاني من تمام الأوَّل وصارا جميعاً اسماً واحداً، وانجرَّ الآخر بإضافة الأوَّل إليه"[٤]، وإلى الأمر ذاته عبَّر ابن جنّي عن مدى الترابط الحاصل بين المتضايفين فيرى أنَّه: "كلما أزداد الجزءان اتصالاً قوى قُبْح الفصل بينهما"[٥]، ولذلك غلَّط بعض النحويين قراءة ابن عامر لقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾[الأنعام:١٣٧] إذ أسند الفعل المبني للمجهول (زُيِّنَ) إلى (القتل)، فأعمل المصدر عمل الفعل، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بالمفعول به، وهذا قبيح قليل في اصطلاح النحويين[٦].

وقد أكَّد الفخر الرازي على هذه العلاقة والترابط الحاصل بين المتضايفين، فقد عبَّر من خلالهما في تفسيره عن مدى الارتباط والتماسك بينهما إلى حدٍّ لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر، فيشكلان معاً معنى واحداً جيء بهما من أجل نسبة كلمة لأخرى، وتقوم بوظيفة التعريف أو التخصيص[٧]، إذ يبين هذا مدى إدراك الفخر الرازي لهذه العلاقة الوثيقة بين المتضايفين، وما مدى تأثيرهما في توجيه المعنى استطاع من خلالها أنْ يبين أثر هذه القرينة في تفسيره، ليس ذلك فحسب بل وردت إشارات بيَّن من خلالها على فهمه لعلاقة النسبة بين معنى الحدث والاسم المجرور التي تتم بواسطة حرف الجر، فتكون هذه الحروف عنده قرينة على المعنى الرابط بينهما، وعلى أثر ذلك تندرج تحت عنوان قرينة النسبة قرينتين معنويتين:

– قرينة الإضافة

تنقسم الإضافة على نوعين: إضافة محضة وغير محضة، ويطلق عليهما بالإضافة المعنوية واللفظية، فالمعنوية أنْ يكون المضاف غير صفة مضافة إلى معمولها، وتفيد التعريف أو التخصيص، وتكون على ثلاثة أقسام: إمَّا بمعنى مِنْ، أو بمعنى اللام، أو بمعنى في، فتكون بمعنى (مِنْ) إذا جاء المضاف بعض المضاف إليه وصالح للإخبار به عن المضاف مثل قولك: خاتم فضةٍ، وثوب حريرٍ، وتكسب المضاف التخصيص؛ لأنَّ المضاف إليه نكرة، أو تكون على معنى اللام مثل: كتاب محمد، ودار عليٍ، وتكسب المضاف التعريف؛ لأنَّ المضاف إليه معرفة، أو تكون على معنى (في) وهي التي يكون المضاف إليه فيها ظرفاً للمضاف نحو: ضَرْبُ اليوم[٨].

وقد أفاد الفخر الرازي مما ذكره النحويون من تقسيم لأنواع الإضافة، استطاع أنْ يوظفها في تفسيره وأنْ يوجه من خلالها المعنى، فمن أنواعها التي جاءت بمعنى (مِنْ)، والتي أكد من خلالها على أنَّ المضاف بعض من المضاف إليه [٩]، وكذلك الإضافة التي تضمنت معنى اللام[١٠]، وهناك موارد أخرى من الإضافة ذكر أنَّها بمعنى (في)، تعينت دلالتها عنده بأنَّ المضاف إليه ظرفٌ للمضاف[١١]، فمن ذلك يتضح أنَّ قرينة النسبة تؤدي دوراً مهماً في تفسير الرازي يتوصل من خلالها إلى توجيه معنى الآية وتفسيرها، وهذا يؤكد على فهمه لهذه القرينة وما لها من أثر في فهم النص وتوجيه معناه، ولذلك تعددت مواضعها في تفسيره موظفاً إياها في توجيه المعنى، فمن مواردها عنده ما جاء لبيان الحكم الشرعي، وهذا ما ذكره في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ أَوْ عَدْلُ ذَلِكَ صِيَامًا﴾[المائدة:٩٥]، فاختلفوا في قراءة قوله تعالى: ﴿أَوْ كَفَّارَةٌ طَعَامُ مَسَاكِينَ﴾ بالإضافة والتنوين، فقرأ نافع وابن عامر (أَوْ كَفَّارَةُ طَعَامِ) بإضافة الكفارة إلى الطعام، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين لـ(كَفَّارَةٌ)، ورفع (طَعَامُ) من غير تنوين[١٢]، فلكل قراءة وجه دلالي يختلف عن القراءة الأخرى ناتج عن اختلاف الحركات أدَّى إلى اختلاف دلالتهما، أشار الرازي إلى هذا الاختلاف، فبيَّن أنَّ وجه قراءة التنوين في (كَفَّارَةٌ) بأنَّها معطوفة على قوله: (جَزَاءٌ)، و(طَعَامُ مَسَاكِينَ) بدل من (كَفَّارَةٌ)؛ لأنَّ الطعام هو الكفارة، ولم تضف الكفارة إلى الطعام؛ لأنَّ الكفارة ليست للطعام، وإنَّما الكفارة لقتل الصيد، وأمَّا وجه قراءة الإضافة فالله تعالى لمَّا بيَّن الكفارات وخيَّر المكلف بين ثلاثة أشياء: الهدي، والصيام، والطعام، حسنت الإضافة في هذا الموضع، فكأنَّه قيل: كفَّارة طعام، لا كفارة هدي، ولا كفارة صيام، فاستقامت الإضافة في هذا الموضع؛ لأنَّ الكفَّارة من هذه الأشياء[١٣].

فقراءة الإضافة في الآية خصصت دلالة المفردة (كَفَّارَةٌ) وحدَّت من اطلاقها، فقيدت الثانية منهما الأولى بنوع من التحديد والتخصيص، فجعلت الكفَّارة الموجبة على المحرم هي كفَّارة طعام، فدلالة الكلمة عند إضافتها تختلف عنه عندما تأتي مفردة، وهذا دليل على أنَّ قرينة النسبة لها أثر في دلالة الكلمة ومعناها.

ومن معاني النسبة ما تقوم به من تنوع دلالة بعض المفردات، فتكتسب المفردة قيمتها من خلال المضاف إليه، فمنها ما تضفي على المضاف معنى التعظيم والتشريف، وهذا ما أكده الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً﴾[الأعراف:٧٣] إذ أضاف الناقة إلى لفظ الجلالة تشريفاً لها أو تخصيصاً عن بقية مثيلاتها، كقوله: بيت الله، وقيل: لأنَّها لا مالك لها إلَّا الله، أو لأنَّه خلقها بلا واسطة[١٤]، ومثل ذلك أيضاً ما خصصَّ الله به الصالحين بإضافتهم إلى نفسه، كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[القمر:٩] إذ جاءت الإضافة في لفظة (عَبْدَنَا) إضافة تشريف وخصوصية بالعبودية[١٥]، فالإضافة إليه تشريف منه للعبد فمن خصصه بكونه عبده فقد أثبت له أعلى درجات الطاعة؛ لأنَّ العبد أقل تحريفاً لكلام السيد من الرسول، لذلك جاء الاختيار بلفظ العبد دون لفظ الرسول في الآية[١٦].

فبواسطة المضاف إليه تمَّ تعريف المضاف وتحديده عن طريق الإلحاق، ففي الأوَّل بواسطة لفظ الجلالة، وفي الثاني عن طريق إضافته إلى ضميره، فتمَّ تحديد وتخصيص هذه الإضافة، فمجيء هذا القيد أزال عن المضاف تعدد الاحتمالات وقصر الفهم على واحد منها، فقيد المضاف إليه جعل العام المطلق محدوداً محصوراً[١٧]، فالمضاف في الآيتين (نَاقَةُ، وعَبْد) اسم عام مطلق تمَّ تقييدهما بواسطة المضاف إليه، وأصبحت دلالتهما محصورة في نطاق محدد، تضافرت معها قرائن لفظية أخرى أعانتها على فهم العلاقة بين المتضايفين، كالتضام والعلامة الإعرابية والرتبة وغيرها، ساعدت الفخر الرازي في تفسيره على التحليل وفهم النص.

ومن معاني الإضافة التي استطاع الرازي أنْ يوظفها في توجيه المعنى وتفسيره ما رآه من أثر لهذه القرينة في تحديد زمن الجملة التي ترد فيه، وهذا ما أكده النحويون في مصنفاتهم، إذ يرون أنَّ التنوين في الوصف يدلُّ على الحال أو الاستقبال، وأمَّا إضافتها

فتدل على المضي، فيضاف الوصف إذا حدث وقوع الفعل حقاً، فتقول: هم ضاربو أبيك، إنْ حدث الضرب منهم لأبيك، وإذا كانوا في حال الضرب أو لم يضربوا قلت: هم ضاربون أخاك، إلَّا أنَّ العرب قد تستثقل النون فتحذفها في معنى إثباتها[١٨]، وقد أكد ابن قتيبة على هذا الأمر من أنَّ التنوين علامة للحال أو الاستقبال عند مجيئها مع الصفات، فذكر هذا بقوله: "ولو أنَّ قائلاً قال: هذا قاتلٌ أخي بالتنوين، وقال آخر: هذا قاتلُ أخي بالإضافة، لدلَّ التنوين على أنَّه لم يقتله، ودلَّ حذف التنوين على أنَّه قد قتله"[١٩].

وقد بيَّنَ الفخر الرازي هذا الأمر في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ فِتْنَةً لَهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ﴾[القمر:٢٧] إذ يرى أنَّ الإضافة تدلُّ على الزمن الماضي، وأمَّا ثبوت التنوين أو النون في المثنى والجمع فيدل على المستقبل، لكن السياق الذي وردت فيه الآيةُ والآيات السابقة لها واللاحقة كانت موجهة لزمن اسم الفاعل الدال على الاستقبال بالرغم من مجيئه مضافاً في الآية، فقد جاء في الآية السابقة قوله تعالى: ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا﴾[القمر:٢٦]، وما بعده جاء قوله: (فَارْتَقِبْهُمْ، وَنَبِّئْهُمْ)، فجاء كل ذلك كالبيان له، كأنَّه قال: سيعلمون حيث نرسل الناقة، فكل ذلك يقتضي المستقبل لدلالة اسم الفاعل في الآية، وإذا كان بمعنى المستقبل فالأحسن الإعمال؛ لتوقع الفعل أو لوجوده، وتجوز فيه الإضافة لصورة الاسم فيه، لكنَّها ليس الأحسن، فجيء بها من أجل إفادة التخفيف الذي يتمثل بإسقاط التنوين أو النون من الكلمة، ولهذا السبب فقد تحقق هذا الأمر في قوله تعالى: ﴿إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ﴾ مع ما فيه من التخفيف فيه تحقيق الأمر وتقديره كأنَّه وقع وكان بخلاف ما لو قيل: إنَّا نرسل الناقة[٢٠].

وورد مثل ذلك أيضاً ما ذكره الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا﴾[النازعات:٤٥]، فبين الفوارق الدلالية بين قراءة التنوين في (مُنْذِرُ) وقراءة الإضافة، مستعيناً بذلك على تحليل التركيب البنائي للجملة أو المفردة القرآنية بالمنقولات اللغوية أو التفسيرية بحسب ما يقتضيه المعنى، تأييداً على صحة توجيهاته، فيرى أنَّ قراءة التنوين في (مُنْذِرُ) هي الأصل، مؤيداً ذلك بما ذكره الزجاج أنَّ مُفْعِل وفاعل إذا كان كل واحد منهما لما يستقبل أو للحال ينون؛ لأنَّه يكون بدلاً من الفعل، والفعل لا يكون إلَّا نكرة، ويجوز حذف التنوين لأجل التخفيف[٢١].

وفيما يبدو أنَّ العدول في الحركة من التنوين إلى الضم من أجل التخفيف سمة تعارف عليها النحاة القدماء، من ذلك ما رواه ابن جني عن أبي علي الفارسي عن أبي العباس (المبرد) من أنَّ عمارة كان يقرأ قوله تعالى: ﴿وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ﴾[يس:٤٠] بضم (سَابِقُ) ونصب (النَّهَارَ)، قال ابو العباس: فقلت له: ما أردت؟ فقال: أردت (سَابِقٌ النَّهَارَ) قال: فقلت له: فهلا قلته؟ فقال: لو قلته لكان أوزن. فقوله: أوزن أي أقوى وأمكن في النفس[٢٢]، فالجنوح إلى لغة وغيرها أقوى في نفسه من أجل التخفيف، لكن التغيير في الحركة يتبعه تغيير في المعنى، فالحركات الإعرابية دوال على معانٍ، فتغير التنوين إلى الضم أدَّى إلى تغير في المعنى، وقد فرَّق الرازي بينهما إذ يرى أنَّ قراءة التنوين وقطع الاسم عن الإضافة تدل على الحال، وليس المراد من الإنذار في المستقبل، وأمَّا قراءة الإضافة فتدل على أنَّه قد فعل الإنذار على نحو: هذا ضاربُ زيدٍ أمس[٢٣].

فمن خلال قرينة النسبة الواقعة بين المتضايفين أدرك الرازي قيمة هذه القرينة المعنوية وأثرها في توجيه المعنى، فاستعان بها في تحليل بنية التراكيب النحوية ومن ثمَّ تحديد دلالتها المعنوية، وهذا يعكس فهم الفخر الرازي لهذه القرينة وتوظيفها في تحديد دلالة النص.

٢- قرينة معاني حروف الجر:

هي أحد المعاني التي تندرج تحت عنوان النسبة، ويتخذ منها وسيلة لتحليل الجمل وفهم النصوص، أطلق عليها معاني حروف الجر؛ لأنَّها تجر ما بعدها من الأسماء، ويطلق عليها الكوفيون بحروف الصفات؛ لأنَّها تقع صفات لما قبلها من النكرات، وتسمى أيضاً بحروف الإضافة؛ لأنَّها تضيف معاني الأفعال قبلها إلى الأسماء بعدها[٢٤]، وفي هذا يرى سيبويه أنَّ الباء وما شابهها من حروف الجر يضاف بها إلى الاسم ما قبله أو ما بعده، فإذا قلت: مررت بزيد، فإنَّما أضفت المرور إلى زيد بالباء، وإذا قلت أخذته من عبدالله، فقد أضفت الأخذ إلى عبدالله بمن[٢٥].

فالعلاقة التي تقوم بها هذه الحروف علاقة ارتباط بين الأفعال والأسماء، فإذا قلت: خرجت من الدار كان خروجك مرتبطاً بالدار، والدار تعلقت بالخروج لا بوقته، فجاءت هذه الأدوات (حروف الجر) من أجل الاستعانة بها، لأنَّ هناك كلمات في العربية لا تضاف أبداً مثل الأفعال، فإذا احتيج إلى إضافتها عُمِدَ إلى إحدى هذه الأدوات من أجل التوصل بواسطتها إلى إضافة ما لا يقبل الإضافة إلى بعده[٢٦]، فتكون هذه الإضافة بمعنى الحدث لا بمعنى الزمن، فالدار تعلقت بالخروج بواسطة حرف الجر ولم تتعلق بالمضي، وأمَّا العلاقة المباشرة للمضي فهي بالخروج لأنَّ معنى الفعل يشتمل عليهما جميعاً[٢٧].

فالمعاني التي تدل عليها حروف الجر يترتب عليها التضييق والتحديد للحدث، فهي قرينة تستخدم لتحديد المعنى الخاص للمفردة أو للجملة، ويعبر كل حرف عن معنى خاص به في داخل التركيب، فمجيء حرف الباء في جملة: كتبتُ بالقلم يكون مقيداً لمعنى الكتابة المطلق، الذي قد يكون بغير القلم من أدوات الكتابة الأخرة، فحصلت نسبة بين الكتابة وبين القلم أثمرت عن تضييق الدلالة وتقييدها[٢٨]، ولكل حرف من حروف النسبة عدد من المعاني المتباينة ذكرها النحاة في كتبهم، قد يصل عددها الثلاثين معنى، ولكل حرف يتفرع عنه عدد من المعاني الوظيفية منها: الغائية، والبعضية، والتعليل، والمجاوزة، والاستعانة، والمصاحبة، وغيرها من المعاني[٢٩]، التي تمثل كل منها قرينة معنوية تضفي البيان والتوضيح على معنى الجملة الذي يرد فيه.

وقد أدرك الفخر الرازي هذه الأهمية التي تشكلها هذه الحروف وما تقوم به من دور في توجيه المعنى، لذلك نجد أنَّ كثيراً من الآيات القرآنية اعتمد في تفسيرها على هذه القرينة وما تقوم به من تحقيق نسبة بين مجرورها ومتعلقها، فتحتمل هذه الحروف من التأويل ما تحتمل من وجوه بحسب سياقها، لذلك سيقف البحث في هذا الجانب من دراسته على بعض دلالات حروف الجر التي وردت في تفسير الفخر الرازي، وبيان أثرها في توجيه المعنى، وسنبين جوانب أخرى منها في مباحث قادمة بأذنه تعالى، لكن قبل دراسة بعض التطبيقات من تفسيره لابدَّ من وقفة على مسألة التضمين في الحروف، وهي من المسائل الخلافية الحاصلة بين البصريين والكوفيين، وما موقف الرازي منها؛ لأنَّ مسألة التضمين من المسائل المهمة في النحو والتفسير، فكثير من الآيات القرآنية يتوقف حكمها على فهم المعنى الذي يؤديه الحرف في النص.

لقد اتجه أهل اللغة والتفسير حيال ما ورد في القرآن الكريم من تضمين اتجاهين أوَّلهما: مذهب البصريين القائلين بعدم جواز ذلك، فهم يرون أنَّ لكل حرف من الحروف معنى خاص به، فإنْ جاء على غير ذلك فهو على تضمين فعل لمعنى فعل آخر، وثانيهما: مذهب الكوفيين إذ يرون أنَّ حروف الجر في أصل وضعها لم تقتصر على معنى واحد، بل قد ينوب بعضها عن بعض فتأتي بأكثر من معنى، ويقوم بعضها مقام بعض[٣٠].

وقد تابع الفخر الرازي رأي الكوفيين إذ يرى بحصول التضمين بين الحروف، وجواز حمل بعضها على بعض في أكثر من موضع تكرر ذلك عنده، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿فَأَثَابَكُمْ غَمًّا بِغَمٍّ لِكَيْلَا تَحْزَنُوا عَلَى مَا فَاتَكُمْ﴾[آل عمران:١٥٣]، فيرى أنَّ الباء في قوله: (بِغَمٍّ) جاءت بمعنى (مع) أي غمَّاً مع غمٍّ، أو غمَّاً على غمٍّ، فالتناوب بين حروف الجر جائز، فيقوم بعضها مقام بعض، فتقول: ما زلتُ به حتى فعل، وما زلتُ معه حتى فعل، وتقولُ: نزلتُ ببني فلان، وعلى بني فلان[٣١]، ومن ذلك أيضاً ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا﴾[يونس:٧] قول الرازي: إنَّ مقتضى اللغة أنْ يُقال: واطمأنوا إليها؛ لأنَّ حروف الجر يحسن إقامة بعضها مقام بعض[٣٢]، وعلى الرغم من كثرة ما ذكره الرازي في القول بتناوب الحروف وتعاورها إلَّا أنَّه لم يلتزم بهذا التوجيه في تفسيره، فقد نراه يعتمد في بعض الأحيان على منهج البصريين منهج التضمين، من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾[الأعراف:٨٨]، فيرى الرازي في أحد وجوه تفسيرها أنَّ الفعل (لَتَعُودُنَّ) ضمن معنى الفعل (صيَّر)[٣٣]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾[الكهف:٢٨]، فالفعل (عدا) يتعدى بنفسه، فلمَّا جاء في الآية متضمناً معنى (جاوز) عدِّي بالحرف (عن)[٣٤].

إذن فموقف الفخر الرازي حيال هذه المسألة هو بصري مرَّة، وكوفي مرَّة أخرى، وتأسيساً على ذلك فقد أدرك أثر هذه الحروف في توجيه المعنى وبيان أهميتها في سياق أفعالها التي وردت في القرآن الكريم، وقد وردت في تفسيره شواهد كثيرة على أهمية هذه الحروف وأثرها في توجيه المعنى والترابط بين أجزاء الكلام من هذه الحروف:

اللام: من حروف الجر الأصلية تستخدم لجر الأسماء والضمائر، لها أحكام نحوية متعددة بتعدد أنواعها، لذلك أفرد بعض النحويين مصنفاً كاملاً يحمل اسم هذا الحرف[٣٥]، غير أنَّ سيبويه لم يذكر له إلَّا معنى واحد، فتمثل هذا بقوله: "ولام الإضافة ومعناها الملك واستحقاق الشيء"[٣٦]، فيما تعددت أنواعها عند نحاة آخرين[٣٧].

فكل حرف من حروف الجر يؤدي وظيفة داخل الجملة تتبين من خلال علاقة النسبة بين معنى الحدث والاسم المجرور، وهذه العلاقات متعددة بتعدد حروف الجر التي تعد من أكثر الوظائف النحوية ارتباطاً بالفعل وتعلقاً به حتى تصل إلى حدٍ أنَّ معنى الفعل في بعض الأحيان يُحدَد بنوع الحرف الذي يتعلق به، كما في الفعل (رغب) إذ يتحدد معناه بالسلب أو الإيجاب بتعدد حرف الجر (في) أو (عن)، ومثل ذلك يحصل لأفعال أخرى[٣٨]، فكل حرف له خصوصية استعماله القرآني الذي يتناسب مع فعله، وهذا المعنى ما كشف عنه الفخر الرازي بدقة بالغة في تفسير قوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾[الأنعام:٧٩] إذ أشار إلى خصوصية حرف اللام في استعماله في هذه الآية دون (إلى) إذ لم يقل وجهت وجهي إلى الذي فطر السموات والأرض، بل جاء الفعل موصولاً بحرف اللام، فالعدول الحاصل في تغاير الحروف من الغاية إلى الاختصاص بحسب قواعد اللغة لدقة التعبير فالمعنى: أنَّ توجيه وجه القلب ليس إليه؛ لأنَّه متعالٍ عن الحيز والجهة، بل توجيه وجه القلب إلى خدمته وطاعته لأجل عبوديته، فمجيء حرف اللام في هذا الموضع دليل ظاهر على كون المعبود متعالياً عن الحيز والجهة[٣٩].

ومن معاني هذا الحرف التي ذكرها الرازي أنَّه يؤدي معنى انتهاء الغاية ويحل محله، أي أنَّ معنى الاختصاص يؤدي معنى انتهاء الغاية، فتمثل عنده في تفسير قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا﴾[آل عمران:١٩٣]، فجاء حرف اللام في الآية الكريمة بمعنى (إلى)، وأنَّ هذا المعنى حاصل في آيات أخرى من القرآن الكريم، وسبب تناوب هذين الحرفين هو أنَّ معنى الغاية ومعنى الاختصاص حاصلان جميعاً في معنى الآية[٤٠].

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد 3 – المجلد 50 – أيلول لسنة 2025

فجاز التداخل بين الحرفين ووقوع أحدهما مكان الآخر؛ لما بينهما من التداخل والتضارع، فاللام لا تخلو من أنْ تكون بمعنى الملك، أو الاستحقاق، أو التخصيص، أو العلَّة والسبب، والحرف (إلى) للانتهاء والغاية، وكل مملوك فغايته أنْ يلحق بمالكه، وكل مستحق فغايته أنْ يلحق بمستحقه، وكل مختص فغايته أنْ يلحق بمختصه، وكل معلول فغايته أنْ يلحق بعلته، فكلها يوجد فيها معنى (إلى) وموضوعها الذي وضعت له(٤١).

ومن ذلك أيضاً ما التفت إليه الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾[يس:٣٨]، فقد نبه الفخر الرازي إلى سر استعمال كل حرف في سياقه، فاستعمال اللام في قوله: (لِمُسْتَقَرٍّ) متلائم مع سياقه، فمعناه أنَّ الشمس تجري وقت استقرارها، أي كلَّما استقرت زماناً أمرت بالجري فجرت لبلوغ أجل مسمى، فالعلاقة الرابطة بين فعل الجري والاستقرار هي علاقة السببية ولاستمرار، أمَّا تعدية الفعل بـ(إلى) فيحتمل فيه معنى آخر وهو أنَّ اللام تذكر للوقت، وللوقت طرفان ابتداء وانتهاء يقال: سرتُ من يوم الجمعة إلى يوم الخميس، فجاز استعمال ما يستعمل فيه أحد حرفيه؛ لما بينهما من الاتصال، وما يؤيد ذلك قراءة من قرأ: (وَالشَّمْسُ تَجْرِي إلى مُسْتَقَرٍّ لَهَا)، فمن وجوه هذه القراءة أنَّ هذا الاستقرار الحاصل للشمس هو يوم القيامة الذي هو منتهى غايتها فتستقر الشمس ولا تكون لها حركة(٤٢).

فحرف الغاية أدى هذا الغرض وهو أنَّ حركة الشمس ابتدأت بخليقة الأرض وتنتهي بيوم القيامة ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾[الرعد:٤٨]، وما يؤيد ذلك أنَّ الآيات التي ورد فيها الفعل (يَجْرِي) متعدياً بحرف اللام دلَّت على ديمومة حركة الشمس واستقرارها، كما في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[الرعد:٢]، وقوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾[فاطر:١٣]، أمَّا السياق الذي ورد فيه الفعل (يَجْرِي) متعدياً بالحرف (إلى) فيدل بأنَّه مختص بأحداث يوم القيامة، كما جاء في قوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾[لقمان:٢٩]، وخير مَنْ نبَّه عن هذا الأمر الخطيب الاسكافي إذ فرَّق في استعمال الحرفين الذي جاء في هذه الآيات، فيرى أنَّ قوله تعالى: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ يجري لبلوغ أجل مسمى، وقوله تعالى: ﴿يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ﴾ معناه لا يزال جارياً حتى ينتهي إلى آخر وقت جريه المسمى له، فخصَّ الفعل (يَجْرِي) في سورة لقمان بـ(إلى)التي للانتهاء؛ لأنَّها تدلُّ على جريها لبلوغ الأجل المسمى، ودليله على ذلك الآيات التي تكتنفها آيات منبهة على النهاية والحشر والإعادة، فقبلها قوله تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾[لقمان:٢٨]، وبعدها جاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا﴾[لقمان:٣٣]، والمعنى كل يجري إلى ذلك الوقت الذي تكور فيه الشمس وتنكدر فيه النجوم، وأمَّا سائر المواضع التي ذكرت فيها اللام فهي في الإخبار عن ابتداء الخلق، فالآيات التي تكتنفها في ذكر ابتداء خلق السموات والأرض وابتداء جري الكواكب، فاختصت النهاية بحرفها، واختصَّ ذكر الابتداء بالحرف الدال على الصلة التي يقع الفعل من أجلها(٤٣).

في: من حروف الجر المتمحضة في الحرفية، وهي موضوعة للظرفية، ومعنى الظرفية كون الشيء محلاً لشيء(٤٤)، وهي الأصل في معانيها الذي تدل عليه(في) وتنفرد به، ولذلك لم يثبت البصريون لها غيره، ويتحقق فيها هذا الأمر إمَّا على وجه الحقيقة نحو قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ﴾[البقرة:٢٠٣]، وإمَّا على وجه المجاز نحو قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[البقرة:١٧٩](٤٥)، وله معانٍ أخرى ذكرها النحاة من هذه المعاني: المصاحبة، والتعليل، والاستعلاء، وبمعنى إلى، وبمعنى من، وغيرها من المعاني(٤٦).

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية — العدد 3 – المجلد 50 – أيلول لسنة 2025

وقد عرض الفخر الرازي في تفسيره بعض الإلماحات الدلالية لحرف الظرفية وما يترتب عليه من معنى من خلال النسبة الحاصلة بين مجروره ومتعلقه، فيكون هذا التعلق قرينة على إثبات المعنى أو نفيه، وهذا ما أكد عليه في تفسير قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[الأعراف:٦٠-٦١] إذ جاء قول المبطلين من قوم نوح على لسان ساداتهم وكبرائهم بنسبة الضلال إلى نوح بحرف الوعاء (في)، لاعتقادهم بأنَّه داخل في هذا الضلال ومنغمس فيه، في حين جاء جوابه بنفي الضلالة عن نفسه بحرف لباء عدولاً عن حرف الوعاء والمصدر الدال على المرَّة الواحدة، وقال: ﴿لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ﴾، فترك قولهم: ﴿فِي ضَلَالٍ﴾، لينفي عن نفسه لصوق الضلالة به، بمعنى ليس بي أي نوع من أنواع الضلالة البتة، فكان هذا أبلغ في عموم السلب عنه وتلبسه به كما يرى الرازي(٤٧).

ومن لطائف النظم في استعمال حرف الوعاء التي جاءت في القرآن الكريم ما أشار إليه الفخر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾[سبأ:٢] ذكر النحويون أنَّ من المعاني التي يمكن أنْ يخرج إليها حرف الوعاء هو أنْ يأتي بمعنى (إلى)، كقوله تعالى: ﴿فَرَدُّوا أَيْدِيَهُمْ فِي أَفْوَاهِهِمْ﴾[إبراهيم:٩] بمعنى إلى أفواههم(٤٨)، فالفعل (يَعْرُجُ) جاء في الآية متعدي بحرف الوعاء، ويمكن أنْ يحل محله حرف الغاية (إلى)، وكل حرف منهما يضيف للفعل دلالة مختلفة، وقد كشف الفخر الرازي عن هذه الفوارق بدقة بالغة من خلال قوله: قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾، ولم يقل يعرج إليها؛ لأنَّ (إلى) للغاية، فلو قال: وما يعرج إليها لفهم الوقوف عند السموات، فقال: ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ليفهم نفوذها فيها وصعودها منها، ولهذا قال تعالى في الكلم الطيب: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾[فاطر:١٠]؛ لأنَّ الله هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول إليه، وأمَّا السماء فهي دنيا وفوقها المنتهى(٤٩).

فمجيء كل حرف من حروف الجر في القرآن الكريم يعبر عن لطائف دقيقة وأسرار بديعة في التعبير عن المعنى، فلا يمكن أنْ يؤدي الغرض أي حرف آخر، فمجيء حرف الوعاء في هذا السياق الذي كشف عنه الفخر الرازي دلَّ على كمال قدرة الله وإحاطته بجميع مكنونات هذا الكون، ولو عدل عن لفظه بحرف الغاية لما أدَّى هذا الغرض من المعنى، وهذا ما كشف عنه الرازي في تفسيره لهذه الآية.

مِنْ: بات من الواضح أنَّ لكل حرف من حروف الجر معنى يطلبه السياق، فتختلف هذه الأغراض باختلاف سياقها، لذلك تعددت أنواعها على خمسة عشر نوعاً كما ذكر ابن هشام، وأشهر هذه الأنواع معنى ابتداء الغاية، وأمَّا سائر المعاني فراجعة إليه(٥٠).

وقد بينَّ الفخر الرازي بعض هذه المعاني بالدراسة والتحليل في أكثر من موضع من تفسيره بذل من خلالها جهوداً طيبةً لاستجلاء أسرار نظم الحروف في كتاب الله العزيز، فيتوجه المعنى من خلالِ النسبةِ الحاصلة بين المجرور ومتعلقه بواسطة هذه الحروف "فالتعليق بواسطة ما يفهم بالحرف من نسبة هو في حقيقته إيجاد علاقة نسبية بين المجرور وبين معنى الحدث"(٥١)، وقد وظَّف الفخر الرازي هذه العلاقة أو النسبة الحاصلة بين المجرور ومتعلقه في تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾[غافر:٢٨]، فالجار والمجرور (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) لابدَّ أنْ يكون له من متعلق يعود عليه، وسياق الآية يحتمل أنْ يكونَ الجارُ والمجرورُ متعلقاً بـ(رَجُلٌ)، وقد يكون متعلقاً بالفعل (يَكْتُمُ)، ونتيجة هذا الاحتمال في متعلق المجرور اختلف المفسرون في ذلك الرجل وتعددت أقوالهم فيه، فمنهم من قال إنَّه كان ابن عمٍّ لفرعون، وكان جارياً مجرى ولي العهد ومجرى صاحب الشرطة، وقيل إنَّه كان قبطياً من آل فرعون وما كان من أقاربه، وقيل إنَّه من بني إسرائيل(٥٢)، فمن جعل متعلق شبه الجملة (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) بـ(رَجُلٌ) وجعله بموضع الصفة فالمعنى عندهم أنَّ الرجل من آل فرعون وكان يكتم إيمانه من

فرعون وقومه خوفاً على نفسه، ومن جعل (مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ) متعلقاً بالفعل (يَكْتُمُ)، فإنَّ الرجل من بني إسرائيل وليس من آل فرعون، والمعنى عندهم: قال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون(٥٣).

وقد ذكر الفخر الرازي هذه الآراء ورجَّح منها الرأي الأوَّل القائل بأنَّ الجار والمجرور متعلق بـ(رَجُلٌ) وليس بـ(يَكْتُمُ)، إذ تحكمه بذلك عدَّة قرائن استدل من خلالها على قوله، منها صحة النسبة بين المجرور ومتعلقه (رَجُلٌ)؛ لأنَّ لفظ الآل يقع على القرابة والعشيرة مستدلاً بقوله تعالى: ﴿إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ﴾[القمر:٣٤]، وقول الرسول (صلى الله عليه وآله): "الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل ياسين، ومؤمن آل فرعون الذي قال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ﴾[غافر:٢٨]، والثالث علي بن أبي طالب وهو أفضلهم"(٥٤)، فصحت عنده علاقة النسبة الحاصلة بين شبه الجملة ومتعلقه، وعدم ترجيحه لتعلق شبه الجملة بالفعل (يَكْتُمُ)؛ لأنَّه متعدٍ بنفسه لا بالحرف، إذ يقال: كتمت كذا ولا يقال: كتمت من كذا، قال تعالى: ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا﴾[النساء:٤٢](٥٥).

وهذا يكشف عن فهم الرازي للعلاقات الرابطة بين المفردات، فتكون النسبة الرابطة ما بين المضاف والمضاف إليه من جهة، و بين الجار والمجرور ومتعلقه من جهة أخرى قرينة معنوية على كلا المعنيين، ويعكس هذا الأمر مدى استفادة الرازي من هذه القرينة في تحديد دلالة النص وترجيح معناه.

الخاتمة

إذن فأهم ما توصل إليه هذا البحث من نتائج يمكن أنْ نجملها بالآتي:

إنَّ قرينة النسبة واحدة من القرائن المعنوية التي سجَّلت حضوراً واسعاً في تفسير الفخر الرازي، وهذا الأمر يعطي انطباعاً عن فهم الرازي لهذه القرينة وبيان أثرها في توجيه المعنى، فهي عنده قيد من قيود تحديد دلالة المفردات وتخصيصها والحد من اطلاقها وتعدد احتمالاتها المعنوية، وعلى الرغم من أهمية هذه القرينة في توجيه المعنى إلَّا أنَّها لا يمكن لها أنْ تقوم بهذا الدور في فهم علاقة النسبة الحاصلة بين المتضايفين، أو بين المجرور ومتعلقه إلَّا بواسطة تضافر القرائن الأخرى، كالتضام والعلامة الإعرابية والرتبة وغيرها من القرائن.

تؤكد قرينة النسبة في تفسير الفخر الرازي أنَّ انتقاء مفردات القرآن الكريم وحروفه منتقاة بدقةٍ متناهية، إذ لا يمكن لأي مفردة أخرى أنْ تقوم مقامها وتؤدي الغرض نفسه، فلا يتم المعنى إلَّا بالمفردة نفسها، ففهم مقاصد الكلام في هذه القرينة ولا سيما معاني حروف الجر مبني على معرفة معاني هذه الحروف التي يبينها النص أو السياق، فبعض ما جاء منها في تفسير الرازي محمولاً على تضمين الأفعال لمعنى أفعال أخرى، وبعضها الآخر محمولاً على نيابة الحروف فيما بينها، وهذا يضفي على الفخر الرازي على أنَّه بصري كوفي في هذه المسألة الخلافية.

مجلة آداب البصرة للعلوم الإنسانية
العدد 3 – المجلد 50 – أيلول لسنة 2025

[1]() ينظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠١-٢٠٢.

[2]() يُنظر: قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم: ٢٣٥-٢٣٦.

[3]() يُنظر: الكتاب: ٢٢٦/٢.

[4]() المقتضب: ١٤٣/٤.

[5]() الخصائص: ٣٩٠/٢.

[6]() يُنظر: إعراب القرآن للنحاس: ٩٨/٢، والحجَّة للقرَّاء السبعة: ٤١٠/٣-٤١١.

[7]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ١٠٩/١، و٢١٧/١٣.

[8]() يُنظر: الأصول في النحو: ٥/٢-٦، أبو بكر بن السراج(ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، (د . ط)، وشرح الرضي على الكافية: ٢٠٦/٢-٢٠٨.

[9]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب:٨٨/٥[البقرة:١٨٤]، و١٢٧/١١[المائدة:١] و٢٠٥/٢٩[الواقعة:٩٥].

[10]() يُنظر: المصدر نفسه: ١٧٢/٢٨[ق:٢٩].

[11]() يُنظر: المصدر نفسه: ٨٧/٦[البقرة:٢٢٦]، و١٤٢/١٨[يوسف:٣٩].

[12]() يُنظر: الحجَّة للقرَّاء السبعة: ٢٥٧/٣-٢٥٨.

[13]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ١٠٠/١٢-١٠١.

[14]() يُنظر: المصدر نفسه: ١٧٠/١٤.

[15]() يُنظر: البحر المحيط : ١٧٤/٨.

[16]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ٣٦/٢٩.

[17]() يُنظر: النحو الوافي: ٦/٣، عباس حسن، مكتبة المحمدي-بيروت-، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

[18]() يُنظر: معاني القرآن للأخفش: ٨٩/١، أبو الحسن سعيد بن مسعدة(ت٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

[19]() تأويل مشكل القرآن: ١٤، ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد الصقر، مكتبة دار التراث-القاهرة-، ط٢، ١٣٩٣هـ-١٩٧٣م.

[20]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ٥٣/٢٩-٥٤.

[21]() يُنظر: معاني القرآن وإعرابه: ٢٨٢/٥.

[22]() يُنظر: الخصائص: ١٢٥/١.

[23]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ٥٣/٣١-٥٤.

[24]() يُنظر: شرح المفصل: ٤٥٤/٤.

[25]() يُنظر: الكتاب: ٤٢٠/١-٤٢١.

[26]() يُنظر: في النحو العربي قواعد وتطبيق: ١٨٢-١٨٣.

[27]() يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٢.

[28]() يُنظر: البحث النحوي عند الأصوليين: ٢٣٩، مصطفى جمال الدين، دار الهجرة-قم-،ط٢، ١٤٠٥هـ.

[29]() يُنظر: اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٣.

[30]() يُنظر: شرح التصريح على التوضيح: ٦٣٧/١، والتأويل النحوي في القرآن الكريم: ١٢٥٦/٢، ومعاني النحو: ٦/٣.

[31]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ٤٤/٩.

[32]() يُنظر: المصدر نفسه: ٤١/١٧، وينظر: ١٥٦/١١[المائدة:٦]، و٩٠/١٩[إبراهيم:٩]، و٩٩/٢٧[فصلت:٦].

[33]() يُنظر: المصدر نفسه: ١٨٤/١٤-١٨٥.

[34]() يُنظر: المصدر نفسه: ١١٦/٢١.

[35]() مثل كتاب اللامات للزجاجي(ت٣٣٧هـ)، وكتاب اللامات لأحمد بن فارس(ت٣٩٥هـ)، وكتاب اللامات لابن مالك(ت٦٧٢هـ).

[36]() الكتاب: ٢١٧/٤.

[37]() يُنظر: الأزهية في علم الحروف: ٢٨٧، علي بن محمد الهروي(ت٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م، ومغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٤١٠/١.

[38]() يُنظر: نحو القرآن: ٥٣، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي-بغداد-، ١٣٩٢هـ-١٩٧٤م، وبناء الجملة العربية: ١٧٤.

[٣٩]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ٦١/١٣.

[٤٠]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ١٥١/٩.

[٤١]() يُنظر: الاقتضاب في شرح أدب الكتَّاب: ٢٨٧/٢، ابن السيد البطليوسي(ت٥٢١هـ)، تحقيق: الاستاذ مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٦م.

[٤٢]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ٧٢/٢٦.

[٤٣]() يُنظر: درة التنزيل وغرة التأويل: ٣٧٤–٣٧٥، الخطيب الاسكافي(ت٤٢٠هـ)، دار الآفاق الجديدة–بيروت–، ط٤، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

[٤٤]() يُنظر: أسرار النحو: ٢٧٤، ابن كمال باشا(ت٩٤٠هـ)، تحقيق: د. أحمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

[٤٥]() يُنظر: الجنى الداني في حروف المعاني: ٢٥٠، وهمع الهوامع في شرح جمع الجوامع: ١٩٤/٤.

[٤٦]() يُنظر: رصف المباني في شرح حروف المعاني: ٣٨٨ وما بعدها، ومغني اللبيب: ٣٣٨/١ وما بعدها.

[٤٧]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ١٥٧/١٤.

[٤٨]() يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٣٤٠/١.

[٤٩]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ٢٤١/٢٥.

[٥٠]() يُنظر: مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: ٦٠٨/١.

[٥١]() اللغة العربية معناها ومبناها: ٢٠٤.

[٥٢]() يُنظر: معاني القرآن وإعرابه: ٣٧١/٤، والكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي: ٢٧٣/٨، أبو إسحاق الثعلبي(ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي–بيروت–، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م، والتفسير البسيط للواحدي: ٣٨٠/١٩.

[٥٣]() يُنظر: الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي: ٢٧٣/٨.

[٥٤]() يُنظر: مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب: ٣١٣، علي بن محمد أبو علي الواسطي المالكي (ت٤٨٣هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار–صنعاء–، ط١، ١٤٢٤هـ–٢٠٠٣م.

[٥٥]() يُنظر: تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب: ٥٨/٢٧.

قائمة المصادر:

- الأزهية في علم الحروف، علي بن محمد الهروي(ت٤١٥هـ)، تحقيق: عبد المعين الملوحي، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ط٢، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.
- أسرار النحو، ابن كمال باشا(ت٩٤٠هـ)، تحقيق: د. أحمد حسن حامد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، ط٢، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.
- الأصول في النحو، أبو بكر بن السراج(ت٣١٦هـ)، تحقيق: د. عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، (د . ط).
- إعراب القرآن ، أبو جعفر النحاس(ت٣٣٨هـ)، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، دار الكتب–بيروت–، ط٢، ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م.
- الاقتضاب في شرح أدب الكتَّاب، ابن السيد البطليوسي(ت٥٢١هـ)، تحقيق: الاستاذ مصطفى السقا ود. حامد عبد المجيد، دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٩٦م.
- البحث النحوي عند الأصوليين، مصطفى جمال الدين، دار الهجرة–قم–،ط٢، ١٤٠٥هـ.
- البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي(ت٧٤٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، دار الكتب العلمية–بيروت–، ط١، ١٤١٣هـ–١٩٩٣م.
- بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للنشر والتوزيع–القاهرة–، ٢٠٠٣م.

• تأويل مشكل القرآن، ابن قتيبة(ت٢٧٦هـ)، تحقيق: السيد أحمد الصقر، مكتبة دار التراث–القاهرة–، ط٢، ١٣٩٣هـ–١٩٧٣م.

• التأويل النحوي في القرآن الكريم، د. عبد الفتاح أحمد الحموز، مكتبة الرشد–الرياض–،ط١، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

• التفسير البسيط، علي بن أحمد بن محمد الواحدي(ت٤٦٨هـ)، تحقيق: د. محمد بن صالح بن عبدالله الفوزان، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٣٠هـ.

• تفسير الفخر الرازي مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي(ت٦٠٦هـ)، تقديم الشيخ خليل محيي الدين الميس، دار الفكر–بيروت–، (د . ط)، ١٤١٥هـ– ١٩٩٥م.

• الجنى الداني في حروف المعاني، الحسن بن قاسم المرادي(ت٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية–بيروت–، ط١،١٤١٣هـ–١٩٩٢م

• الحجَّة للقرَّاء السبعة، أبو علي الفارسي(ت٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدين قهوجي وبشير جويجاني، دار المأمون للتراث–دمشق–، ط١، ١٤٠٤هـ–١٩٨٤م.

• الخصائص، ابن جنِّي(ت٣٩١هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، المكتبة العلمية، ١٣٧٦هـ–١٩٥٧م.

• درة التنزيل وغرة التأويل، الخطيب الاسكافي(ت٤٢٠هـ)، دار الآفاق الجديدة–بيروت–، ط٤، ١٤٠١هـ–١٩٨١م.

• رصف المباني في شرح حروف المعاني، أحمد المالقي(ت٧٠٢هـ)، تحقيق: أحمد محمد الخراط، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، (د . ط).

• شرح التصريح على التوضيح، الشيخ خالد الأزهري(ت٩٠٥هـ)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية–بيروت–، ط١، ١٤٢١هـ–٢٠٠٠م.

• شرح الرضي على الكافية، رضي الدين الاستراباذي(ت٦٨٨هـ)، تحقيق: يوسف حسن عمر، منشورات قان يونس–بنغازي–، ط٢، ١٩٩٦م.

• شرح المفصل، ابن يعيش(ت٦٤٣هـ)، تحقيق: د. أميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية–بيروت–، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠١م.

• في النحو العربي قواعد وتطبيق، د. مهدي المخزومي، ط٣، ١٩٨٥م.

• قواعد النحو العربي في ضوء نظرية النظم، د. سناء حميد البياتي، دار وائل للنشر والتوزيع–عمَّان–، ط١، ٢٠٠٣م.

• الكتاب، سيبويه(ت١٨٠هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي –القاهرة–، ط٣، ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م.

• الكشف والبيان المعروف بتفسير الثعلبي، أبو إسحاق الثعلبي(ت٤٢٧هـ)، تحقيق: الإمام أبي محمد ابن عاشور، دار إحياء التراث العربي–بيروت–، ط١، ط١، ١٤٢٢هـ–٢٠٠٢م.

• اللغة العربية معناها ومبناها، د. تمَّام حسَّان، دار الثقافة، ١٩٩٤، (د . ط).

• معاني القرآن للأخفش، أبو الحسن سعيد بن مسعدة(ت٢١٥هـ)، تحقيق: د. هدى محمود قراعة، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط١، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

• معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق الزجاج(ت٣١١هـ)، تحقيق: د. عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب-بيروت، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

• معاني النحو، د. فاضل السامرائي، دار إحياء التراث العربي-بيروت-، ط١، ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٧م.

• مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، ابن هشام الأنصاري(ت٧٦١هـ)، تحقيق: حسن حمد، و د. إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية -بيروت-، ط٢، ١٤٢٦هـ-٢٠٠٥م.

• المقتضب، أبو العباس المبرد(ت٢٨٥هـ)، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، لجنة إحياء التراث الإسلامي في وزارة الأوقاف المصرية-القاهرة-، ١٤١٥هـ-١٩٩٤م.

• مناقب أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، علي بن محمد أبو علي الواسطي المالكي (ت٤٨٣هـ)، تحقيق: أبو عبد الرحمن تركي بن عبد الله الوادعي، دار الآثار-صنعاء-، ط١، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

• نحو القرآن، د. أحمد عبد الستار الجواري، مطبوعات المجمع العلمي العراقي-بغداد-، ١٣٩٢هـ-١٩٧٤م.

• النحو الوافي، عباس حسن، مكتبة المحمدي-بيروت-، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.

• همع الهوامع في شرح جمع الجوامع، جلال الدين السيوطي(ت٩١١هـ)، تحقيق: د. عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة-بيروت-، ١٤١٣هـ-١٩٩٢م.